سُورَةُ فَاطِرٍ

التّعريفُ العامُّ بالسورة:

سورةُ فاطر كلُّها مكّيّةٌ

سورة فاطر كلُّها مكّيّةٌ بالاتّفاق[1]، وذكر الطّبرسيُّ أنّ بعضهم استثنى منها آيتيْن وهما: قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ٢٩﴾ [فاطر: 29]، وقولُه: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ٣٢﴾ [فاطر: 32][2]، ولا يوجدُ دليلٌ على استثنائهما.

ترتيبُ السّورةِ في النّزولِ والمُصحفِ وعدُّ آيِ السّورة:

هي السّورةُ الخامسةُ والثّلاثون في ترتيب المصحف الشّريف، وهو التّرتيبُ الثّابت، والمُعوَّلُ عليه عند أهل النّظرِ والتّحقيق؛ جاءت بين سورتَيْ سبأ ويس، يقول الدّانيُّ: "وَهي أَرْبَعونَ وستّ آيات في المدني الأَخير والشّاميّ، وخمْس في عدد الباقينَ"[3].

وأمّا ترتيبُها النُّزوليُّ فهي الثّالثَةُ والأَرْبَعونَ في تَرْتيبِ نُزولِ سوَرِ القُرآنِ، نَزَلَت بعدَ سورَةِ الفُرقانِ وقبلَ سورَةِ مَريَمَ[4].

فضائلُ السّورةِ:

لم يثبتْ في فضائِلِها أحاديثُ صحيحةٌ على وجه الخصوص، سوى ما تقدّم فيها وفي أخواتها أنّها منَ المثاني، فقد روي عَنْ واثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قالَ: «أُعْطيتُ مَكانَ التَّوْراةِ السَّبْعَ وأُعْطيتُ مَكانَ الزَّبورِ المَئينَ وَأُعْطيتُ مَكانَ الإنْجيلِ المَثانيَ وَفُضِّلْتُ بِالمُفَصَّلِ»[5].

---

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 247.

(2) الطبرسي، مجمع البيان: 8/ 515.

(3) الداني، البيان في عد آي القرآن، ص: 210.

(4) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 247، دروزة، التفسير الحديث: 3/ 107.

(5) ابن حنبل، المسند، رقم: (16982).

أسماءُ السّورةِ الكريمةِ وسببُ التّسميةِ:

سـورةُ فـاطـر تُسمَّى سـورةَ الملائكة

يقول ابنُ عاشور: "سُمّيَتْ (سورَةَ فاطِرٍ) في كَثيرٍ مِنَ المَصاحِفِ في المَشرِقِ والمَغرِبِ وفي كَثيرٍ مِنَ التَّفاسيرِ، وسُمّيَت في كَثيرٍ مِنَ المَصاحِفِ والتَّفاسيرِ (سورَةَ المَلائِكَةِ) لا غَيرَ"[1]، وقدْ وردتْ تَسميتُها بـ (سورة الملائكة) في صحيحِ البخاري[2]، وفي سنن التّرمذيّ[3].

وقد ربط البقاعيُّ اسمَها بمقصودها فقال: "فمقصودُها إثباتُ القدرة الكاملة للّه تعالى؛ اللّازمِ منها تمامُ القدرة على البعث، الذي عنه يكون أتمُّ الإبقاءين: الإبقاء بالفعل دائمًا أبدًا بلا انقطاعٍ ولا زوالٍ ولا اندفاعٍ في دار المقامةِ التي أذهب عنها الحزنَ والنّصب واللّغوب، ودارِ الشّقاوة الجامعةِ لجميع الأنكاد والهموم، ولاسمِ السّورة أتمُّ مناسبةٍ لمقصودها؛ لأنّه لا شيءَ يعدل ما في الجنّة من تجدّد الخلق، فإنّه لا يُؤكل منها شيءٌ إلّا عاد كما كان في الحال، ولا يرادُ شيءٌ إلّا وُجد في أسرع وقت، فهي دارُ الإبداع والاختراعِ بالحقيقة، وكذا النّار: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾ [النساء: 56]؛ وكذا تسميتُها بالملائكة فإنّهم يبدعون خلقًا جديدًا كلُّ واحدٍ منهم على صورته التي أراد اللّه المطابقةِ لقدرته سبحانه وعزّ شأنُه"[4].

ويمكنُ أن يُضاف إلى ما ذكره بأنّ تسميتَها بـ (سورة فاطر) إنّما جاء لارتباط هذا الاسمِ بأهمّ الحقائق والمفاهيمِ التي عرضت لها السّورةُ الكريمة، وهي: حقيقةُ الإله، والكون، والإنسان، والحياة، فمن حقيقةِ الألوهيّة تنبثقُ بقيّةُ الحقائق والمفاهيم؛ فاسمُه تعالى: الفاطرُ – الذي يقوم معناه على الابتداء والخلق وشقّ الشّيء – إنّما يرتبط مع مظاهر قدرة اللّه تعالى في السّورة الكريمة، فضلًا عنِ

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 247، والسّيوطي، الإتقان: 1/ 194.
(2) البخاري، الصحيح: باب تفسير سورة الملائكة (فاطر): 4/ 1805.
(3) الترمذي، سنن التّرمذيّ: باب، ومن سورة الملائكة: 5/ 363.
(4) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 1 - 2.

ارتباطه بتقسيم النّاس وانفطارِهم في حقيقة الألوهيّةِ والكونِ والإنسانِ والحياةِ.

وأمّا تسميتُها بسورة الملائكة فإنّما يتناغمُ مع كون هؤلاء الملائكة رُسلَ الله تعالى إلى الأنبياء، الذين اصطفاهم الله تعالى بتبليغ النّاس دينَه القويم، الذي يتكفّل بإجابتهم عنِ الأسئلة الرئيسة، التي شغلتِ الإنسانيّةَ جمعاء، حول حقيقةِ الوجود والكون والإنسان، وهمُ الذين ضلّ فيهم أقوامٌ فنَسبوا إليهم فريةً أنّهم بناتُ الله، فبيَّن لهم أنَّهم ليسوا من جنس البشر، وإنّما هم رسلُه.

❁ المحورُ العام للسّورةِ:

مَـــدارُ سـورةِ فـاطـر حـولَ تفصيلِ أُمّـاتِ النّعمِ وتصحيحِ المفاهيمِ

المحورُ العامُّ لهذه السورة يدور حول بيانِ قدرة الله تعالى على الخلق، فذكرتْ أوصافَ الملائكة وتخليقَهم، ثم بيَّنت أنَّ الله من يفتحُ أبوابَ الرّحمة، وذكَّرت الخلقَ بالنّعم، ثمّ تعرّضت إلى التّحذير منَ الجنّ وعداوتهم، وتسليةِ الرّسول، وإنشاءِ السّحاب، وإثارته، وإحالةِ نسبة العزَّة إلى الله، وصعودِ كلمة الشّهادة، وتحويلِ الإنسان من حال إلى حال، كما ذكرت عجائبَ البحر، واستخراجَ الحلْية منه، وتخليقَ اللّيل، والنّهار، وعجزَ الأصنام عنِ الرُّبوبيّة، وصفةَ الخلائق بالفقر والفاقة، واحتياجَ الخَلق في القيامة، وإقامةَ البرهان والحجّة، وفضلَ القرآن، وشرَفَ التّلاوة، وأصنافَ الخَلْق في ميراث القرآن، ودخولَ الجنَّة من أهل الإيمان، وخلودَ النّار لأهل الكفر والطّغيان، وأنَّ عاقبةَ الكفر الخسرانُ، والمنَّةَ على العباد بحفظ السّماء والأرض عن تخلخل الأركان، وأنَّ العقوبة عاقبةُ المكر، والإخبارَ بأنَّه لو عَدَلَ رَبُّنا في الخَلْق لم يسلمْ من عذابه أحدٌ منَ الإنس والجانّ[1]، وذكر البقاعيُّ أنّها خاتمةُ السّور المفتتحةِ باسمِ الحمدِ[2].

(1) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 1/ 386 - 387.
(2) الفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 16/ 1.

❁ موضوعاتُ السّورةِ وخصائصُها:

تقومُ موضوعاتُ سورةِ فاطر على بيانِ حقيقةِ المصطلحاتِ الأربعةِ الإلهِ، الكونِ، الإنسانِ، الحياةِ

هذه السّورةُ الكريمةُ تشارك السّورَ المكّيّةَ في تقرير مفاهيم الدّينِ الرّئيسةِ حول حقيقةِ الإلهِ، والإنسان، والكون، والحياة، وأثرِ الفهمِ السّليم لهذه المفاهيم في دوام النّعمِ وتجدُّدها، ومن ثمَّ بيانِ أصنافِ النّاس في التّعامل مع هذه المفاهيم، وعقدِ الموازنات بينهم، وبيانِ أسباب انحرافِ الكافرين في التّعامل معها، واقتضى ذلك بيانَ مصائرِ السّابقين الذين أساؤوا فهمَها والتّعاملَ معها، ثمّ الوعدَ والوعيدَ لكلّ صنفٍ من هذه الأصناف.

الخصائصُ الموضوعيّةُ للسورة:

أولًا: تميَّزتِ السّورةُ الكريمة بأنّها شاركت أُسرتَها منَ السّور الأربعةِ الأخرى (الفاتحة، والأنعام، والكهف، وفاطر) باستهلالها بالحمد، وفي هذا يقول د، مستغانمي: "إنّ السّور القرآنيّةَ ذاتَ المطالع المتطابقةِ يوحّدُها ويربطُ بين نسيج كلٍّ منها رباطٌ قويٌّ منَ المضامين والمحتويات والألفاظ يجعلُها تنتمي إلى أسرة واحدة، وليس من قبيل الصّدفةِ أن تبدأ سورٌ بعينها ببدايات متطابقة، وتُفتتحُ سورٌ أخرى بافتتاحيّات مختلفة، ثمّ لا ينتبه القارئُ المتدبّرُ والمستمعُ المنصتُ إلى ما يجمعُها ويربطُها[1].

ثانيًا: تفرّدتِ السّورةُ الكريمة بذكرِها مظاهرَ من قدرة اللّه تعالى في الكون مازتْها عن غيرها منَ السّور وإن شاركتها في ذكر ذاتِ المظاهر، فمن ذلك أنواعُ الجبال وألوانُها، والغرابيبُ السّود، وألوانُ النّاس والدّوابّ والأنعام، وإمساكُ السّماوات والأرض.

ثالثًا: تميّزت ببيانها خشيةَ العلماء للّه، وأقسامَ النّاس: الظّالم، والمقتصِد، والسّابق، وسنّة اللّه في عدم إهلاك النّاس بماكسبوا، وغيرِ ذلك.

(1) المستغانمي، جواهر الدّرر في علم مقارنات السّور، ص: 81.

رابعًا: شاركت سورةَ سبأ التي سبقتْها في ترتيب المصحف الشّريف في تناولها لقضيّة شكرِ النّعم والتّحذيرِ من كفرانها، وربطِ الشّكر بدوام النّعم وزوالِها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ﴾،﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [فاطر: 12].

خامسًا: بيّنتِ السّورة حقيقةَ هذا الكون وما فيه من آياتٍ ومخلوقات على أنّها من مظاهرِ ملكوته، الآيات [9] و[13]، و[27 - 28]، و[41].

سادسًا: بيّنتِ السّورة حقيقةَ الإنسان ومراحلَ تخلُّقه في الآيات [11]، و[39].

سابعًا: بيّنتِ السّورة حقيقةَ الحياة وما فيها منَ الغرور في الآية [5].

ثامنًا: ذكرتِ السّورة أقسامَ النّاس في التّعامل مع هذه المفاهيم والحقائقِ التي ذكرها لهم في كتابه في الآية [32].

تاسعًا: عقدتِ السّورة الكريمة عدّةَ موازَنات بين هذه الأصناف من خلال تقرير سنّةِ التّقابلِ في الكون كلّه في الآيات [19 - 22].

عاشرًا: عرضت السورة لبعض أسباب الانحرافِ العقليّ والعقديّ لدى المكذّبين، ومنها: الاغترارُ بالحياة الدّنيا، واتّباعُ الشّيطان مع أنّ عداوته مقرَّرةٌ، وتزيينُ الأعمال، والاستكبارُ، في الآيات [5 - 6]، [8]، [42 - 43].

الحادي عشر: بيّنتِ السّورة الجزاءَ الأخرويَّ لكلّ صنفٍ منَ المخلوقين ممّن ذكرتْهم في ثنايا السّورة في الآيات [7]، [33 - 37].

الخصائصُ الأسلوبيّةُ للسّورة:

أولًا: تميّزتِ السّورة الكريمة بكثرة ذكْرِ المقابلات وأسلوبِ الطّباق فيها، وذلك لارتباط هذا الأسلوبِ بمحورِها القائم على الموازنة بين أصناف البشر، فمن ذلك: يفتحُ ويمسكُ، عذبٌ فراتٌ وملحٌ أُجاجٌ، يولجُ اللّيل في النّهار ويولجُ النّهار في اللّيل، الشّمسُ والقمرُ، الأعمَى والبصيرُ، الظّلماتُ والنّورُ، الظّلُّ والحرورُ، الأحياءُ والأمواتُ، الظّالمُ والسّابقُ، السّماواتُ والأرضُ، سرًّا وعلانيةً، كفروا وآمنوا، بشيرٌ ونذيرٌ، الغنَى والفقرُ، وهكذا.

تـمـيّـزت سـورةُ فاطر بخصائصَ أفـردتْـهـا عـن غيرها منَ السّور

ثانيًا: تفرّدتِ السّورة الكريمة بأنساقٍ تعبيريّةٍ فريدةٍ منها: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ﴾، ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: 6]، ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ﴾ [فاطر: 8]، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: 10]، ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ﴾ [فاطر: 12]، ﴿*يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [فاطر: 15]، ﴿إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٞ ۝٢٣﴾ [فاطر: 23]، ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ۝٢٤﴾ [فاطر: 24]، ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [فاطر: 35]، ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ [فاطر: 45] وغيرُها.

ثالثًا: هناك كلماتٌ تكرّرت بمشتقّاتٍ مختلفةٍ في آية واحدة؛ مثل قولِه: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ۝١١﴾ [فاطر: 11]، وقولِه: ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا ۝٣٩﴾ [فاطر: 39].

رابعًا: ذُيّلت اثنتا عشرةَ آيةً من آيات السّورةِ الكريمة بأسماء الله الحسنى منفردةً أو مقترنةً، وهي: ﴿قَدِيرٞ﴾، ﴿ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾، ﴿عَلِيمُۢ﴾ [فاطر: 8]، ﴿ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝١٥﴾ [فاطر: 15]، ﴿عَزِيزٌ غَفُورٞ ۝٢٨﴾ [فاطر: 28]، ﴿غَفُورٞ شَكُورٞ ۝٣٠﴾ [فاطر: 30]، ﴿خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ۝٣١﴾ [فاطر: 31]، ﴿حَلِيمًا غَفُورٗا ۝٤١﴾ [فاطر: 41]، ﴿عَلِيمَا قَدِيرًا ۝٤٤﴾ [فاطر: 44]، ﴿بَصِيرًا ۝٤٥﴾ [فاطر: 45].

خامسًا: ذُيّلت خمسٌ وثلاثون آيةً من آيات السّورة الكريمة بحرف الرّاء المتّصفِ بالقوّة والجهر، أي: بنسبة (78 بالمائة) من آيات السّورة، وبدأتِ السّورة به منَ الآية الأولى، واختتمتْ به.

سادسًا: تميّزتِ السّورةُ الكريمة في أسلوبها بذكْرِ بعض الأبنيةِ والمشتقّاتِ الصّرفيّةِ التي لم ترِدْ في غيرها منَ السّور، فمنها منَ الأفعال: ﴿يَصۡعَدُ﴾ [فاطر: 10]، ﴿يَبُورُ ۝١٠﴾ [فاطر: 10]، ﴿تَبُورَ ۝٢٩﴾ [فاطر: 29]،

﴿ٱصْطَفَيْنَا﴾ [فاطر: 32]، ﴿أَحَلَّنَا﴾ [فاطر: 35]، ﴿يَصْطَرِخُونَ﴾ [فاطر: 37]، ﴿نُعَمِّرْكُم﴾ [فاطر: 37]، ﴿يَحِيقُ﴾ [فاطر: 43]، وغيرُها.

ومنَ الأسماء: ﴿مُمْسِكَ﴾، ﴿مُّعَمَّرٍ﴾ [فاطر: 11]، ﴿أَجْنِحَةٍ﴾، ﴿مُثْقَلَةٌ﴾ [فاطر: 18]، ﴿مُسْمِعٍ﴾ [فاطر: 22]، ﴿جُدَدٌ﴾ [فاطر: 27]، ﴿بِيضٌ﴾ [فاطر: 27]، ﴿وَغَرَابِيبُ﴾ [فاطر: 27]، ﴿سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ [فاطر: 27]، ﴿ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: 34]، وغيرها.

ولا شكّ أنّ لهذه الأبنيةِ والاشتقاقات ارتباطًا قويًّا بمحور السّورة ومقصودِها العامّ.

سابعًا: تميّزتِ السّورة الكريمة بذكرها لفظًا فريدًا هو: (قِطمير) في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾﴾ [فاطر: 13]، وذلك في سياق نفيِ النّفع عن هؤلاء الشّركاء، ولا شكّ أنّ هذا مرتبطٌ بمحور السّورةِ الكريمة في بيان حقيقةِ الألوهيّة وتفرّدِها بالنّفع والضّرّ.

❁ بيانُ المناسبةِ بين سورةِ فاطر والسّور المجاورة لها:

تقدّم في سورة سبأ الرّبطُ بينها وبين سورة فاطر، ونعيدُه هنا للفائدة:

أولًا: خصّصت سورةُ فاطر: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾، وذكرت سبأ بأنّ الحمدَ مستحقٌّ للّه الذي له ما في السّماوات وما في الأرض، وبأنّ له الحمدَ في الآخرة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سبأ: 1].

ثانيًا: تناولت كلتا السّورتيْن موضوعَ الرّزق على سبيل الإنكار، فجاء في سبأ: ﴿۞قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [سبأ: 24]، وفي فاطر: ﴿هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾.

ثالثًا: كلتا السّورتيْن أشارتا إلى تكذيب السّابقين، ففي سبأ: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾ [سبأ: 45]، وفي فاطر: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾﴾ [فاطر: 25].

سـورةُ فاطـر متّصلةٌ تمامًا بـسـورتَيْ سبأ ويـس مضمونًا وأسلوبًا

رابعًا: قرّرت سورةُ فاطر أنّ وعد الله للكافرين واقعٌ لا مرية فيه ولا ارتياب: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥﴾ [فاطر: 5]، وبيّنتْه أيضًا سورةُ سبأ: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٢٩ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ۝٣٠﴾ [سبأ: 29 - 30][1].

خامسًا: حذّرت سورةُ فاطر منَ الشّيطان، وقرّرت أنّه عدوٌّ مبينٌ للجنس البشريّ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: 6]، وسبقتْها سبأ ضاربةً المثلَ بالذين أنعمَ الله عليهم بنعمٍ شتّى، ولكنّهم أعرضوا فجازاهم الله بما صنعوا، وضرب بهم المثلَ: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَـٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْـَٔاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ ۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَفِيظٌ ۝٢١﴾ [سبأ: 20 - 21].

سادسًا: ذكرت سورةُ فاطر جزاءَ الذين كفروا، وجزاءَ الذين آمنوا وعملوا الصّالحاتِ، وبدأت بذكر الذين كفروا نظرًا لقرب الحديث عنِ الشّيطان الذي يسعى جاهدًا ليجعل متّبعيه في عذاب السّعير: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ۝٧﴾ [فاطر: 7]، ولكن في سورة سبأ قدّمتِ الحديثَ عنِ الذين آمنوا وعملوا الصّالحاتِ: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مُعَـٰجِزِينَ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ۝٥﴾ [سبأ: 4 - 5].

سابعًا: ذكرت سورةُ فاطر أنّ كلّ ما يقعُ في الكون، وما يولد من مولود، وما يُعمّر من معمّر، ولا يُنقص من عمره، إلّا وهو مسجَّلٌ في

(1) المستغانمي، جواهر الدّرر في علم مقارنات السّور، ص: 88.

كتاب مبين: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١﴾ [فاطر: 11]، وتناولت سبأ ذاتَ الموضوع مع مزيد بيانٍ وإيضاح: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣﴾ [سبأ: 3].

ثامنًا: قرّرت سورةُ سبأ أنّ الله تعالى أرسل محمّدًا ﷺ بشيرًا ونذيرًا: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٢٨﴾ [سبأ: 28]، وقرّرت سورةُ فاطر ذاتَ الحقيقة دون الإشارة إلى أنّه لكلّ النّاس: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾ [فاطر: 24].

تاسعًا: قرّر الله تعالى في سورة فاطر أنّ الذي أوحاه إلى نبيّه محمّدٍ ﷺ هو الحقُّ مصدّقًا لما بين يديه منَ الكتب: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٣١﴾ [فاطر: 31]، والمؤمنون الذين أوتوا العلم أيضًا شهدوا في سورة سبأ بأنّ الذي أُنزل على محمّدٍ هو الحقّ: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٦﴾ [سبأ: 6][1].

عاشرًا: قرّرت سورةُ فاطر أنّ الذين كفروا جزاؤهم الذي يستحقّونه حقًّا وعدلًا هو نارُ جهنّم: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ ٣٦﴾ [فاطر: 36]، وتكرّر التّعليقُ نفسه في سورة سبأ: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلۡ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلۡكَفُورَ ١٧﴾ [سبأ: 17][2].

مناسبة السورة لسورة (يس) الواقعة بعدها:

وأمّا وجهُ اتّصالها بسورة (يس) فيقول عنه الزّحيلي: تظهرُ صلةُ السّورتيْن من وجوه ثلاثة:

أولًا: بعد أن ذكر تعالى في سورة فاطر قوله: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ﴾ [فاطر: 37] وقولَه:

(1) المستغانمي، جواهر الدّرر في علم مقارنات السّور، ص: 96.
(2) المستغانمي، جواهر الدّرر في علم مقارنات السّور، ص: 98.

﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ [فاطر: 42] والمرادُ به محمّدٌ ﷺ، وقد أعرضوا عنه وكذّبوه، افتتح سورةَ يس بالقسم على صحّة رسالته، وأنّه على صراط مستقيم، وأنّه أُرسل لينذر قومًا ما أنذر آباؤهم.

ثانيًا: هناك تشابهٌ بين السّورتين في إيراد بعض أدلّة القدرةِ الإلهيّة الكونيّة، فقال تعالى في سورة فاطر: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ﴾ [فاطر: 13] وقال في سورة يس: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾﴾ [38 - 39].

ثالثًا: وقال سبحانه في فاطر: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ [فاطر: 12] وقال في يس: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾ [يس: 41].

ويضاف إلى هذه النّقاطِ الثّلاث:

رابعًا: اشتمالُ كلتا السّورتيْن على الوعد للمؤمنين والوعيد للكافرين، ففي فاطر: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَاۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًاۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فاطر: 32 - 33]، و﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: 36 - 37].

وجاء في سورة يس: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَٱمْتَٰزُواْ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: 55 - 59]، و﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [يس: 63 - 65].

خامسًا: جاء الحديث عن عداوة الشّيطان في السّورتيْن، ففي فاطر: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: 6]، وفي

يس: ﴿۞أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾ [يس: 60 - 61].

سادسًا: جاء التّحذيرُ للكافرين في كلتا السّورتيْن الكريمتيْن، ففي فاطر: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا ٤٤﴾ [فاطر: 44]، وفي يس: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ١٤﴾ [يس: 13 - 14].

سابعًا: اشتراكُ السّورتين بدلائلِ قدرة اللّه تعالى في الأنفس والآفاق، ففي فاطر مثلًا: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ١١﴾ [فاطر: 11]، وجاء في يس: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقۡنَٰهُ مِن نُّطۡفَةٖ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٞ مُّبِينٞ ٧٧﴾ [يس: 77].

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والأربعون،
سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 46 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-99-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 46 : المجلد السادس والأربعون، سورة سَبإ من الآية 13 إلى سورة فاطر الآية 14.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-99-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0986397 بتاريخ 2025/01/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»